١٣- سورة الرعد

قوة الحق وضعف الباطل.

(١) رسالة السورة:

الحق قوي منتصر، وإن لم يظهر أمام الأعين، والباطل ضعيف مهزوم، وإن كان ظاهرًا متفشيًا.

هذه الحقيقة البسيطة يغفل عنها الكثير من الناس، فينخدعون ببريق الباطل الزائف (معاص منتشرة- فجور ومجون- موظف مرتشي- تاجر كذاب- قوي يأخذ حق غيره ...)، كلها أشكال مختلفة لقوة الباطل الهشة.

من الناس من يقول: إن فلانًا ناجح في تجارته عن طريق السرقة والغش والخداع في عمله، وبما أن الكل يفعل هذا فلا ضرر من تقليدهم.

لهؤلاء تأتي السورة لتقول: إن قوة الباطل مهما ظهرت وانتفشت، فهي هشة، ليس لها أي جذور في الأرض، ومهما توارى الحق أو اختفى عن أعين الناس، فهو راسخ متين في الأرض.

وسميت السورة بـ(الرعد): لتكون تذكرة للنَّاس كي لا ينخدعوا بمظاهر الأشياء، فالرعد يسبب الخوف والرعب الناس، لكنه يحمل لهم الخير والمطر الذي ينبت الزرع ويسقي الناس والبهائم، الرعد صوته رهيب من الخارج، لكن باطنه تسبيح للعلي القدير: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِ ...﴾ (١٣).

(٢) الكتاب المقروء والكتاب المنظور: ومن أول آية تبدأ السورة بالتأكيد على أن الله تبارك وتعالى هو الحق، وأن كتابه المنزل من عنده هو الحق: ﴿المر تِلْكَ ايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلَّذِى أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾ (١).

وبعد أن ذكرت أول آية كتاب الله تعالى، تنتقل الآيات ٢ و٣ إلى ذكر قدرة الله عز وجل في الكون، وكأنها تقول للناس جميعًا: إن كنتم تكذبون بكتاب الله المقروء (القرآن)، فتعالوا ننظر إلى كتاب الله المنظور (الكون):

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ... وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ... يُدَبِّرُ ٱلأَمْرَ ...﴾ (٢).

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا ...﴾ (٣).

فالكتاب المقروء (القرآن) يطالب المسلم بالنظر في الكتاب المنظور (الكون)، من خلال آيات كثيرة كهذه الآيات، وبالمقابل، فإن الكتاب المنظور يزيدك إيمانًا بالقرآن.

ومن روعة السورة أنها تهبط بك في ملك الله درجة درجة، لتتأمل الكون وآياته من أعلى إلى أسفل، فلو تأملنا في الآيات من ٢ إلى ٤، لوجدنا أن الآيات بدأت بالسماوات، ثم انتقلت إلى الشمس والقمر، فالأرض والجبال والأنهار، إلى تقسيم الأراضي الزراعية (قطع متجاورات) وتنوع ثمارها.

وبعد كل هذه الآيات والدلائل، يأتي التعقيب من الله: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ...﴾ (٥).

فهل تستغربون، بعدما رأيتم كل هذا الملك في الكون، كيف أن الله تعالى قادر على أن يحيي الناس بعد موتهم؟ كيف

يمكن لأي صاحب عقل سليم أن يشّك في قدرة الله تعالى؟

دعوة الله هي وحدها الحق، وما عاداها باطل:

ففي الآية ١٤: ﴿لَهُ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَاء لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ﴾.

ألا ترون حال الداعين لغير الله من الشركاء؟ كشخص يمد كفيه إلى الماء (وهو يجلس على حافة البئر مثلًا) يطلب من الماء أن يبلغ فاه بارتفاعه من البئر إليه ﴿وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ﴾.

مثالان للحق الباقي والباطل الذاهب:

في الآية ١٧: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاء مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾: الماء النازل من السماء يمثل الحق والخير الذي ينزل مع الوحي من السماء، فماذا كان أثر هذا الماء؟ ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾.

انظر لقوته وعظمته، وكيف دخل في الوادي ليحمل الخير للناس، فماذا حدث؟ ﴿فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا﴾ (١٧)، أي أشياء لا قيمة لها من قش وفضلات ورغوة الماء تجمعت على سطح المياه، فغطت الماء، بحيث أنها غطت المادة القيمة، فصار الخير مغمورًا تحت، والماء الذي سيزرع به تحت، أما الظاهر فهو القش والفضلات التي لا قيمة لها (الزبد).

ويأتي مثل رائع آخر: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَاء حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مّثْلُهُ﴾ (١٧)، فإذا وضعت قطعة ذهب في النار، لتختبر صفاءها ونقاوتها، فإن الشوائب في داخلها ستصعد إلى السطح، ويبقى المعدن النفيس تحت، نفس مبدأ المياه، كأن ربنا يقول لنا: هذا ماء وهذه نار، لكن المبدأ يبقى نفسه، والحق والباطل تبقى أشكالهم واحدة وحقيقتهم واحدة، فدائمًا سيظهر الباطل على السطح وسيبقى الخير تحت، لكن الخير راسخ وإن لم تره، والباطل زائل وإن علا وطفا فوق السطح.

ثم يأتي تعقيب واضح على هذين المثلين ليؤكد انسجامهما مع هدف السورة: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ (١٧)، فماذا يكون مصير الإثنين؟ ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ (١٧).

(٣) عظمة القرآن:

وبعد أن عددت الآيات أثر كتاب الله المنظور (الكون) في إيضاح الحق والباطل، يأتي مثال أروع: كتاب الله المقروء: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ...﴾ (٣١).

ومعنى هذه الآية أنه لو كان هناك شيء يمكن أن يحرك الجبال أو يسير الأرض أو يحيي الموتى، لكان هذا القرآن.

وكأن المعنى: إن هذا الكون الرائع لا يحركه إلا هذا القرآن.

لماذا؟

لأنه الحق الكامل في الأرض، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ (١٤).

(٤) من فضلك: اقرأ سورة الرعد، وعش مع الحق الذي ينزل من عند ربنا، فالحق هو كلام الله، هو القرآن، وهو طريق الخير والصلاح.

وإياك بعد أن تقرأ هذه السورة الكريمة أن تنخدع بالباطل مهما انتفش وعلا، لأنه أولاً وآخرًا هش ليس له أي جذور.

(٥) أسماء السورة:

١- الاسم التوقيفي: الرعد.

٢- معنى الاسم: الرعد ظاهرة كونية، وهو عبارة عن صوت قاصف يدوي عقب وميض البرق حال تراكم السحاب.

٣- سبب التسمية: سبق ذكره، وقد ورد ذكر "الرعد" فيها في الآية (١٣).

٤- أسماء أخرى اجتهادية: لا يعرف لها اسم غيره.

(٦) من خصائص السورة (مما تتميز به السورة عن غيرها):

١- احتوت السورة على السجدة الثانية -بحسب ترتيب المصحف- من سجدات التلاوة، في الآية (١٥).

٢- هي آخر سورة -بحسب ترتيب المصحف- افتتحت بأربعة أحرف من حروف التهجي، والسور التي افتتحت بأربعة أحرف من حروف التهجي سورتان فقط: الأعراف، والرعد.

(٧) جدول السورة:

ترتيبها:	في المصحف: ١٣	في النزول: ٩٦	في الطول: ٣٢		
تصنيفها:	مدنية: ٢٨/٧	المثاني: ٣٠/٢			
عدد:	الآيات: ٤٣	الصفحات: ٦ (وسطرين)	٠,٣٥ جزء	٠,٧ حزب	٢,٧ ربع
موقعها:	بدايتها في الجزء: ١٣		نهايتها في الجزء: ١٣		
فاتحتها:	حروف التهجي: ٢٩/٧	أربعة حروف: ٢/٢	آلمر: ١/١		

(٨) مقصد السورة: قوة الحق وضعف الباطل.

(٩) خرائط السورة: في ملف الخرائط.

(١٠) موضوعات السورة:

١- بيان أن القرآن حق ووحي من الله، ومع سطوع الحق ووضوحه إلا أن المشركين كذبوا به، ثم عرض لمظاهر قدرة الله في آفاق الكون (١-٤).

٢- إنكار المشركين للبعث، واستهزاءهم بالعذاب، ثم بيان إحاطة علمه تعالى بكل شيء، ثم بيان قدرة الله في الكون (٥-١٣).

٣- بيان ضلال المشركين في عبادتهم لغير الله، وتوبيخهم وبيان عجز هذه الآلهة، ثم ضرب مثلين لقوة الحق وبقاءه وضعف الباطل وزواله (١٤-١٧).

٤- صفة المؤمنين ثم الكافرين، مع ذكر جزاء كل فريق في الآخرة، وأن الرزق والهداية من عند الله (١٨-٢٩).

٥- **بيان مهمة الرسول**، وعظمة القرآن وتفضيله على سائر الكتب، وتسليته صلى الله عليه وسلم بعد تكذيب المشركين واستهزاءهم به، ثم بيان جزاءهم في الدنيا والآخرة (٣٠-٣٤).

٦- **الترغيب في الجنة ببيان صفتها**، وفرح مؤمني أهل الكتاب بتوافق القرآن مع كتبهم، وتحذير النبي من إتباع المشركين (٣٥-٣٧).

٧- **بيان أن الرسل بشر**، لهم أزواج وذرية، وأن وظيفة الرسول هي التبليغ (٣٨-٤٣).

(١١) علمتني سورة الرعد:

١- **علمتني سورة الرعد** أن أقبل على القرآن، وأتعلم علومه؛ فإنه الطريق إلى الحق ﴿وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ﴾ (١).

٢- **علمتني سورة الرعد** علامة الحق الدليل الصحيح وليس كثرة الأتباع وقلتهم ﴿ولكن أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١).

٣- **علمتني سورة الرعد** أنه إذا أُغلقت الأبواب في وجهي فلا أجزع! فقد يكون في ذلك خيرًا عظيمًا، فإنه هو من ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ (٢).

٤- **علمتني سورة الرعد** إنما يتعظ بآيات الله تعالى من كان له عقل ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٤).

٥- **علمتني سورة الرعد** أن كل الناس يشربون الماء، لكن ليس كلهم كلامه تمرة سكرية ﴿يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ﴾ (٤).

٦- **علمتني سورة الرعد** أن الله يعدنا بالمغفرة رغم ذنوبنا، فكيف لا نهرع لرحمته؟ ونعتصم به ضد ضعفنا؟ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٦).

٧- **علمتني سورة الرعد** مهمة الداعية هي تبليغ الدعوة، لا إدخال الهداية إلى قلوب الناس ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (٧).

٨- **علمتني سورة الرعد** أن منهج الحياة مرسوم بدقة ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾(٨)، فكيف لا اطمئن.

٩- **علمتني سورة الرعد** أنني في موكب الحفظ الإلهي وحراسة الملائكة، فأي شيء يدعوني للقلق! ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (١١).

١٠- **علمتني سورة الرعد** أن الله إذا أراد بأحدٍ عقوبةً وبلاءً؛ أعماه عن أسباب الوقاية منها ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾ (١١).

١١- **علمتني سورة الرعد** أنه ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (١١).

١٢- **علمتني سورة الرعد** أن التغيير يبدأ منك أنت أولًا ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (١١).

١٣- **علمتني سورة الرعد** أن العبدَ إن غيَّر المعصيةَ بالطاعةِ، غيَّر اللهُ عليه العقوبةَ بالعافيةِ والذلَ بالعزِ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (١١).

١٤- **علمتني سورة الرعد** أن أربط بين مصيبة وقعت على المجتمع وذنب انتشر فيه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ

﴿يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (١١).

١٥- علمتني سورة الرعد أن جميع الكائنات تسجد لله تعالى ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ (١٥).

١٦- علمتني سورة الرعد أن ضرب الأمثال وسيلة تعليمية وتربوية هامة استخدمها القرآن ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ (١٧)، واستخدمها النبي فتدرب عليها.

١٧- علمتني سورة الرعد قاعدة لا تتبدل ولا تتغير: الحق يبقى وإن ظن الناس زواله واندثاره، والباطل يضمحل مهما انتفش وتضخم ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ (١٧).

١٨- علمتني سورة الرعد أن أخطط اليوم لعمل صالح -ولو يسير- يبقى لي بعد موتي ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ (١٧).

١٩- علمتني سورة الرعد أن أتصدّق الآن وأكثر من ذلك قبلَ أنْ يأتِي يومٌ أتمنَّى أنْ أتصدّق فيه ولا أستطيع ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ﴾ (١٨).

٢٠- علمتني سورة الرعد أن أصل رحمي ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾ (٢١).

٢١- علمتني سورة الرعد أن أكبر دافع للصبر هو ترقب عظيم الأجر من الكريم سبحانه ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ (٢٢).

٢٢- علمتني سورة الرعد أن أصبر على الجوع، على الظمأ، على القيام، على حبس النفس عن الشهوات لأسمع في الجنة هذا النداء: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (٢٤).

٢٣- علمتني سورة الرعد أن الله يبسط الرزق ويقدر ابتلاء؛ ولا يدل البسط على رضى الله، ولا التضييق على سخطه ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ (٢٦).

٢٤- علمتني سورة الرعد أن كثرة الذكر سبب لطمأنينة القلب ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٢٨)، فإذا كثر الذكر وقلّت الطمأنينة فلأن اللسان يذكر والقلب غافل.

٢٥- علمتني سورة الرعد أن حلول الكوارث قريبًا من البلاد تحذير رباني ﴿أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ (٣١).

٢٦- علمتني سورة الرعد أن الله حفيظ رقيب على عمل كل أحد ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ (٣٣).

٢٧- علمتني سورة الرعد أن الهداية هدية سماوية لقلب هيئه الله لإستقبالها، نور يوقده الله، لا يستطيع أحد إشعاله إلا هو ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (٣٣).

٢٨- علمتني سورة الرعد أن المكذبين والظالمين والعصاة مهما فخروا وطغوا ورأى الناس أنهم في سعادة فهم في عذاب؛ كيف وقد توعدهم الله بعذاب في الحياة الدنيا ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ (٣٤).

٢٩- علمتني سورة الرعد أن أفرح وأحمد الله على ما فتح به عليَّ من حفظ آيات من كتاب الله تعالى أو تدبرها ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ (٣٦).

٣٠- علمتني سورة الرعد أن أهتم بدراسة اللغة العربية ونشرها؛ لأنها أساس فهم القرآن ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ (٣٧).

٣١- علمتني سورة الرعد أن أجتهد في تبليغ الدعوة للناس، وأما هدايتهم فبيد الله تعالى ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ (٤٠)، ليست قضيتي انتظار ما يحل بهم، قضيتي الدعوة والبلاغ فحسب.